تقديم الذَّات في الحياة اليوميّة



إرفنغ غوفمان

ترجمة: ثائر ديب

معنى
MANA




تمت ترجمة هذا الكتاب بدعم
مبادرة ترجم
Tarjim Initiative

تقديم الذَّات

في الحياة اليوميّة

تقديم الذَّات في الحياة اليوميّة
تأليف: إرفنغ غوفمان
ترجمة: ثائر ديب
الطبعة الثانية: 2022

ISBN: 978-603-91584-6-2
رقم الإيداع: 1442/5432

هذا الكتاب ترجمة لـ:

Erving Goffman,
The Presentation Of Self
In Everyday Life

Copyright © 1959, Anchor Books edition.
Arabic copyright © 2021 by Mana Publishing House
Cover Painting by:Evelyn Williams / Bridgeman Images

الآراء والأفكار الواردة في الكتاب تمثل وجهة نظر المؤلف

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لـ دار معنى. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من دار معنى

الناشر:
دار معنى للنشر و التوزيع
الرياض - المملكة العربية السعودية

www.mana.net | info@manaa.net | @ManaPlatform

المحتويات

مقدمة الترجمة العربية 9
شكر 19
تمهيد 21
مدخل 23
الفصل الأول: أداءات 43
الفصل الثاني: فِـرَق 123
الفصل الثالث: مناطق وسلوك مناطقيّ 161
الفصل الرابع: أدوار متباينة 209
الفصل الخامس: الاتصال خارج الشخصية 243
الفصل السادس: فنون إدارة الانطباع 295
الفصل السابع: خاتمة 333
ثَبْتُ المصطلحات 357

مقدمة الترجمة العربية

وُلد إرفنغ غوفمان (Erving Goffman) في 11 حزيران/ يونيو 1922، في بلدة مانفيل التابعة لمقاطعة ألبرتا الكندية، لمهاجرَين يهوديين أوكرانيين. درس الثانوية في مقاطعة مانيتوبا التي انتقلت إليها أسرته ودخل قسم الكيمياء في جامعتها في عام 1939، لكنه قطع دراسته وانتقل إلى أوتاوا ليعمل في شركة سينمائية. شهدت هذه الفترة تحوّلًا في اهتماماته نحو العلوم الاجتماعية، فترك جامعة مانيتوبا وسجَّل في جامعة تورنتو ليحوز في عام 1945 شهادة البكالوريوس في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا. ولم يلبث أن انتقل إلى جامعة شيكاغو حيث حاز شهادتي الماجستير (1949) والدكتوراه (1953) في علم الاجتماع.

قدَّم غوفمان في أطروحته للماجستير تحليلًا إثنوغرافيًّا لاستجابات نساء كوسمبوليتانيات من الطبقة الوسطى لم يأخذن على محمل الجدِّ «اختبار تفهُّم الموضوع» الذي كان يديره. أمَّا أطروحته للدكتوراة «إدارة التواصل في جماعة على جزيرة» فقامت على عمل ميداني في جزيرة أنست من جزر شتلاند التابعة لإسكتلندا رعاه قسم الأنثروبولوجيا الاجتماعية في جامعة إدنبرة، إذ أقام غوفمان هناك من كانون الأول/ ديسمبر 1949 إلى أيار 1951. وفي هذه الأطروحة قدَّم غوفمان لأول مرة مصطلح «النظام التفاعلي» (interaction order) ليصف ميدان الحياة الاجتماعية الذي يقيمه الأشخاص بوجودهم معًا. وهذا النطاق من علم الاجتماع هو الذي اتَّخذه غوفمان نطاقًا له. ذلك أنَّ استقصاء خصائص النظام التفاعلي

هو الخيط الذي يربط الموضوعات والمواد المتباينة في كتبه الأحد عشر وفي ما يزيد على دستة من دراساته المنشورة في مجلات مرموقة.

بعد دفاع غوفمان الناجح عن أطروحته، أمضى سنةً أخرى في شيكاغو، وكتب هناك دراسته البديعة **تقديم الذات في الحياة اليومية** التي نُشرت لأول مرة في عام 1956 في إدنبرة. كما كتب أوراقًا بحثية حول إعمال الوجه والإحراج والانخراط والإجلال والسلوك. وبين أواخر عام 1954 وعام 1957، عمل باحثًا في «المعهد الوطني للصحة العقلية»، حيث أجرى العمل الميداني والكتابةَ اللذين أفضيا إلى كتابه **المصحَّات** (*Asylums*) الذي صدر في عام 1961. وفي عام 1958 عُيِّن في جامعة كاليفورنيا، بيركلي، ليترقّى في عام 1962 إلى درجة أستاذ متفرّغ. وأمضى غوفمان سنة من التفرُّغ العلمي في جامعة هارفارد، لينتقل في عام 1968 إلى جامعة بنسلفانيا، حيث بقي حتى وفاته في عام 1982.

كان نشْرُ طبعة الAnchor Books الموسَّعة من كتاب غوفمان **تقديم الذات في الحياة اليومية** في عام 1959 تكريسًا لغوفمان صوتًا مميزًا ضمن علم الاجتماع المكتوب بالإنجليزية. وسرعان ما عزّزَ سمعته هذه بأربعة كتب أخرى ظهرت قبل نهاية عام 1963، هي **المصحَّات: مقالات في الوضع الاجتماعي للمرضى العقليين وسواهم من النزلاء** (1961)؛ **ولقاءات: دراستان في علم اجتماع التفاعل** (1961)؛ **والسلوك في الأماكن العامة: ملاحظات حول التنظيم الاجتماعي للتجمّعات** (1963)؛ **والوصمة: ملاحظات حول إدارة الهوية المعطوبة** (1963).

كانت الطبعة الأولى من **تقديم الذات في الحياة اليومية** قد صدرت عن مركز أبحاث العلوم الاجتماعية في جامعة إدنبرة، في عام 1956، كما سبق القول. وفي هذا الكتاب، يتبنّى غوفمان الاستعارة القديمة التي تنظر إلى الحياة على أنَّها دراما ويطوّرها ليسلِّط الضوء على تفاصيل السلوك حين يلتقي البشر وجهًا لوجه. ويقدِّم غوفمان في هذا الكتاب مفهومه عن «إدارة الانطباع» ويطور منظوره الدراماتورجي بطرائق مبتكرَة، مشيرًا إلى ستة «مبادئ» دراماتورجية: الأداءات، الفرق، المناطق والسلوك المناطقي، الأدوار المتباينة، التواصل خارج الشخصية، وفنون إدارة الانطباع. وهو لا يقدِّم هنا تصنيفًا سكونيًّا لأشكال التصرف بل يتفحَّص على نحو تحليلي القضايا الدينامية الخاصة بتقديم البشر ما يدعوه «تعريفات للوضع» والحفاظ عليها. ولقد أبقت طبعة عام 1959 الصادرة عن الAnchor Books من هذا الكتاب على ما كان في الطبعة الأولى من بنية الفصول لكنها توسَّعت في المحتوى، وأضافت إلى الأمثلة التي اشتملت عليها الطبعة السابقة أمثلةً جديدة إيضاحًا للمفاهيم الدراماتورجية، ونقلت أمثلةً كانت في الحواشي إلى المتن. وهذا ما دفعنا إلى اختيار هذه الطبعة الجديدة لترجمتها إلى العربية.

يستند عمل غوفمان **المصحّات: مقالات في الوضع الاجتماعي للمرضى العقليين وسواهم من النزلاء** (*Asylums: Essays on the social situation of mental patients and other inmates*, 1961) إلى عمل ميداني لمدة عام في مستشفى سانت إليزابيث، في واشنطن العاصمة. وهو يشتمل على أربع مقالات: تتفحَّص الأولى مستشفى الأمراض العقلية بوصفه بيئة مغلقة، أو «مؤسسة كلِّية»؛ وتتفحَّص

الثانية التغيرات في ما لدى المرضى العقليين من إطار للحكم على أنفسهم وعلى الآخرين؛ وتحلل الثالثة ما في المستشفى من «حياة سفلية» غنيَّة تمكّن المريض من أن يعبِّر عن بعده عن نموذج الحياة الاجتماعية الذي يريده المستشفى؛ وتنتقد الرابعة الطب النفسي المؤسساتي.

كتاب غوفمان **لقاءات: دراستان في علم اجتماع التفاعل** (*Encounters: Two studies in the sociology of interaction*, 1961) هو عبارة عن تحليل تقني لدور المرح وتوظيف الهوية في التفاعل. واللقاءات هي تلك التفاعلات التي يعمد فيها المساهمون إلى تعزيز بؤرة واحدة للانتباه المعرفي والبصري. ويبيّن تفحُّص «المرح في الألعاب» أهمية الانخراط و«الغشاء» الذي يصطفي أوسع الصفات الاجتماعية التي يُسمَح لها بأن تبرز ضمن تفاعل مغلق. ويلتقط مفهوم «الابتعاد عن الدور»، بوصفه بديلًا عن نظرية الدور الوظيفية، حقائق السلوك التفاعلي المعبَّر عنها في أشكال مختلفة من المزاح والمفارقة وإدانة النفس تشير إلى أنَّ الذات هي غير تلك التي تنطوي عليها متطلبات دور راهن.

ليس كتاب غوفمان **السلوك في الأماكن العامة: ملاحظات حول التنظيم الاجتماعي للتجمُّعات** (*Behavior in public places: Notes on the social organization of gatherings*, 1963) دراسة للأماكن العامة بوصفها كذلك بل لضروب التفاعل التي توجد هناك في العادة. وهو يأتي بمفهومين أساسيين هما التفاعل غير المتبئِّر، حيث يلاحق الأشخاص مشاغلهم الخاصة في حضور الآخرين، والتفاعل المتبئّر،

حيث يتعاون الأشخاص على تعزيز بؤرة اهتمام واحدة. ويشتمل هذا الكتاب على مناقشات مهمة للآداب المرتبطة بأوضاع، والإغفال المهذب، ولغة الجسد، والانخراط، والمساهمة.

يتفحَّص غوفمان في كتاب **الوصمة: ملاحظات حول إدارة الهوية المعطوبة** (*Stigma: Notes on the management of spoiled identity*, 1963) حال الأشخاص الذين لا يُقبلون قبولًا كاملًا داخل وضع من الأوضاع وعلاقاتهم. وهو يبيّن، بدراسة الإعاقة والإثنية والجريمة والانحراف والمشكلات الاجتماعية، كيف يدير أصحاب الوصمات الظاهرة والقابلة للإخفاء تعاملهم مع «الأسوياء». ويميّز على نحو مفيد بين الشخصي والاجتماعي والأنا أو الهوية المحسوسة، ويُدخِل مفهوم «سياسات الهوية» الذي بات شائعًا الآن.

يجمع غوفمان في كتابه **مراسم التفاعل: مقالات في السلوك وجهًا لوجه** (*Interaction ritual: Essays on face-to-face behavior*, 1967) مقالات صحفية تعود بصورة أساسية إلى خمسينيات القرن العشرين حول إعمال الوجه، والإجلال والسلوك، والإحراج، والغربة عن التفاعل، والأعراض العقلية، توضح كلٌّ منها كيف يركز علم اجتماع التفاعل «لا على البشر ولحظاتهم» بل «على اللحظات وبشرها». ويضمِّن غوفمان هذا الكتاب دراسةً جديدة تقوم على رصده ألعاب القمار في نوادي نيفادا، «حيث يكون الفعل». ويركّز على النشاطات والأوضاع «المصيرية» (أي الإشكالية والخطيرة على السواء) ليبلور مزيدًا من دراسات القمار وسواه من النشاطات المنطوية على مجازفة.

يتفحّص غوفمان في فصلي كتابه **تفاعل استراتيجي** (*Strategic interaction*, 1969) دور الخداع والمكر في «المعاملات المتبادلة». حيث يستكشف الفصل الموسوم «ألعاب تعبيرية» مقدرةَ بشرية عامة واحدة على نيل المعلومات وكشفها وإخفائها في ما يخصُّ الاستنتاجات التي يمكن التوصُّل إليها حيال نوايا الآخرين. أمَّا الفصل الموسوم بـ«التفاعل الاستراتيجي» فيتناول أسس اتخاذ القرار في ظروف مصيرية للطرفين. ويعمد كلا الفصلين إلى إغناء فكرة جورج هربرت ميد عن اتِّخاذ موقف الآخر وما تنطوي عليه في بعض الأحيان من تصور مبسط للتفاعل بين الذوات.

يواصل غوفمان في كتابه **علاقات علنية: دراسات جزئية للنظام العام** (*Relations in public: Microstudies of the public order*, 1971) اهتمامه بالتفاعل غير المتبئِّر والمتبئِّر الذي سبق أن أعلن عنه في كتاب **السلوك في الأماكن العامة**. ويستكشف في فصوله الستة القائمة بذاتها تلك الأنماط الشخصية «الفردية» و«الجماعية» التي تساعد في الحفاظ على الذات، و«التبادلات الداعمة» و«التبادلات الشافية» التي تبقي التعاملات اليومية على ما يرام من حيث «العلامات-الروابط» و«المظاهر السويَّة» التي تمكِّن العلاقات والأماكن والأوضاع من أن يكون لها معنى. وقد ألحق غوفمان بهذا الكتاب مقالة من عام 1969 بعنوان «جنون المكان». وهي مقالة سِيَرِيَّة في العمق، ترسم الخطوط العامة للخراب الذي أحدثه مريض عقلي في البيت.

في كتاب **تحليل الإطار: مقالة في تنظيم التجربة** (*Frame analysis*:

An essay in the organization of experience, 1974) الذي استغرق إعداده عقدًا كاملًا، وأراد له أن يكون رائعته وكتابه العُمدة، يستكشف غوفمان أبعاد تجربة الحياة الاجتماعية. ويقدِّم مصطلحات ومفاهيم تتناول المشكلة العملية الجوهرية: ما الذي يجري هنا؟ وفي حين تُفهَم التجربة من خلال أُطر أوليَّة، فإنَّ هذه الأخيرة يمكن تحويلها إلى مفاتيح ومصطنعات. وهذه الأطر في تأسيسها وضروب هشاشتها هي محل الاهتمام التحليلي الأساس. أمَّا اشتغالها فيجري تناوله بدراسة كل من الإطار المسرحي والإطار الكلامي.

يحلّل غوفمان في كتابه **إعلانات جندرية** (*Gender advertisements*, 1979) تجلّي الجندر في المخيلة الإعلانية مستخدمًا ما يزيد على 500 إعلان وصورة عامة. وتُبدي الموضوعات الأساسية في ما يقدِّمه غوفمان من «تحليل صُوَري نسقي» -القِصَر بالنسبة إلى الرجل، اللمسة الأنثوية، التراتب الوظيفي، الأسرة، إضفاء الطابع المراسيمي على الإخضاع، الانسحاب المسموح- فروقًا جندرية صارخة. ويستبق كتاب غوفمان هذا أطروحة جوديت بتلر الشهيرة عن أدائية الجندر بما يزيد على العقد.

يتألَّف كتاب غوفمان **أشكال الكلام** (*Forms of talk*, 1981) من خمسة فصول سبق أن نُشر ثلاثة منها. ونجد في هذه الفصول نقدًا لتحليل الحوار يقدِّم فيه غوفمان نموذجًا للمرجع-الاستجابة أكثر انفتاحًا، ومحاولةً في علم اجتماع الملفوظات غير المعجمية، وتجلّي هويات المتحاورين في الكيفية التي ينتجون بها الكلام ويتلقونه، وتحليلًا لآليات المحاضرة، وتناولًا لأخطاء الدي جي الإذاعي الكلامية

بقصد فهم العيوب في الكلام العادي.

هـذه لمحة بالـغة الإيـجـاز عـن تـرسـانـة مـوضـوعـات غـوفـمـان ومفاهيمه. وقد جعلته هذه الترسانة وطرائقه في تشغيلها واحدًا من أهم علماء اجتماع القرن العشرين وأشدهم نفوذًا، وواحدًا من أهم أركان «نظرية التفاعل الرمزي» ومطوِّر «المنظور الدراماتورجي». وقد جاءت أربعة من مؤلفاته ضمن قائمة أفضل مئة كتاب في علم الاجتماع بحسب تقويم الاتحاد الدولي لعلم الاجتماع في عام 2016، وهي هذا الكتاب، **تقديم الذات في الحياة اليومية**، وكتبه **المصحَّات والوصمة** و**تحليل الإطار**.

توفي غوفمان في عام 1982. ولا شكّ أنَّ نتاجه قد شهد ضروبًا شتَّى من التطوير والانتقاد والدفع باتجاه مجالات جديدة مما لن يغيب عن القارئ المهتمّ واليقظ.

«الأقنعة تعبيراتٌ عن الشعور محتجزَةٌ وأصداءٌ له مثيرةٌ للإعجاب، صادقة وحصيفة ومسرفة في آنٍ معًا. لا بدَّ للأشياء الحيَّة المتماسَّة مع الهواء من أن تكتسب بَشَرَةً، ولا يقلّل من قيمة البَشَرَات أنَّها ليست قلوبًا؛ لكنَّ بعض الفلاسفة يبدون غاضبين من الصور لأنَّها ليست أشياء، ومن الكلمات لأنَّها ليست مشاعر. الكلمات والصور مثل الأصداف، جزء لا يتجزأ من الطبيعة شأنها شأن البواطن التي تغطيها، لكنها أَظْهَر للعين وأوضح للملاحظة. لا أعني بهذا أنَّ الباطن يوجد من أجل الظاهر، أو أنَّ الوجوه توجد من أجل الأقنعة، أو أنَّ الأهواء توجد من أجل الشعر والفضيلة. لا شيء ينشأ في الطبيعة من أجل أيّ شيء آخر؛ جميع هذه الأطوار والمنتجات تشارك على قدم المساواة في دورة الوجود ... ».

جورج سانتايانا[1]

(1) *Soliloquies in England and Later Soliloquies* (New York: Scribner's, 1922), pp. 131-132.

شكر

جرى تطوير البحث الذي أقدِّمه هنا في معرض دراسة عن التفاعل أُجريَت لمصلحة قسم الأنثروبولوجيا الاجتماعية ولجنة أبحاث العلوم الاجتماعية في جامعة إدنبرة ودراسة عن التناضد الاجتماعي بمنحة من مؤسسة فورد أدارها البروفسور إدوارد. أ. شيلز (E. A. Shils) في جامعة شيكاغو. أنا ممتنٌ لمصادر التوجيه والدعم هذه. وأودُّ أن أعرب عن شكري لأساتذتي تشارلز وليم ميرتون هارت (C. W. M. Hart) ووليم لويد وارنر (W. L. Warner) وإيفرِت تشيرنغتون هيوز (E. C. Hughes). أريد، أيضًا، أن أشكر إليزابيث بوت (Elizabeth Bott) وجيمس ليتلجون (James Littlejohn) وإدوارد بانفيلد (Edward Banfield) الذي مدُّوا لي يد العون في بداية الدراسة، وزملائي من دارسي المهن في جامعة شيكاغو الذين ساعدوني بعد ذلك. وما كان هذا البحث ليُكْتَب لولا تعاون زوجتي، أنجليكا س. غوفمان (Angelica S. Goffman).

تمهيد

أريدُ لهذا البحث أن يكون نوعًا من الدليل الذي يُسهب في شرح واحدٍ من منظورات علم الاجتماع تمكن من خلاله دراسة الحياة الاجتماعية، لا سيما ذلك الضرب من الحياة الاجتماعية الذي يُنَظَّم داخل الحدود المادية لمبنى أو منشأة. وسوف أصف مجموعة من الخصائص التي تشكِّل معًا إطارًا يمكن تطبيقه على أيّ مؤسسة اجتماعية ملموسة، سواء كانت منزلية أو صناعية أو تجارية.

المنظور المستخدم في هذا البحث هو منظور الأداء المسرحي؛ والمبادئ المستمدَّة هي مبادئ دراماتورجية[1]*. وسوف أنظر في الطريقة التي يقدِّم بها الفردُ نفسَه ونشاطَه للآخرين في أوضاع العمل العادية، والطرائق التي يوجِّه بها الانطباع الذي يشكِّلونه عنه ويتحكَّم به، وضروب الأشياء التي قد يفعلها أو لا يفعلها كي يحافظ على أدائه أمامهم. وأنا إذ أستخدم هذا النموذج، لا أعمد إلى تسليط الضوء على أوجه قصوره الواضحة. ففي حين تُقدِّم خشبة المسرح أشياء مُدَّعاة؛ يُفترض بالحياة أن تقدِّم أشياء واقعية ومن دون التدرُّب عليها جيدًا في بعض الأحيان. ولعلَّ الأهمَّ من ذلك أنَّ الممثِّل الواحد على الخشبة يقدِّم نفسه في هيئةِ شخصيةٍ مسرحيةٍ لشخصياتٍ مسرحيةٍ يُقدِّمها ممثلون آخرون؛ ويشكِّل الجمهور طرفًا ثالثًا في هذا التفاعل: طرفٌ أساسيٌّ، لكنَّه طرف لا يكون موجودًا إذا ما كان الأداء المسرحي واقعيًّا.

(1)* استُخدمَ مفهوم «الدراماتورجيا» في القرن السابع عشر ليشير إلى فن التأليف المسرحي. لكنَّ معناه تطور لاحقًا -مع ازدياد أهمية العرض بالقياس إلى النصّ- ليشمل مدلولات جديدة تتخطى عملية الكتابة باتجاه العمل المسرحي بمجمله بما فيه عمل الممثل وشكل العرض وحتى الاستشارة الأدبية. هكذا، باتت الدراماتورجيا واقعة في تقاطع العلاقات التي يفرضها الانتاج المسرحي: التأليف، والإخراج، والنقد، والصحافة، بما يغطي مجال المسرح كلّه بما فيه كتابة النص، وتحضير العرض، ودراسة تاريخ المسرح، والنقد، إلخ. (م)

ففي الحياة الواقعية تُضغط هذه الأطراف الثلاثة لتغدو طرفين؛ إذ يُضبَط الدور الذي يؤدِّيه الفرد على الأدوار التي يؤدِّيها الآخرون الحاضرون، في الوقت الذي يشكِّل هؤلاء الآخرون الجمهور أيضًا. وتبقى في هذا النموذج أوجه قصور أخرى سوف أنظر فيها لاحقًا.

تتَّسم المواد التوضيحية المستخدمة في هذه الدراسة بأنَّ لها طابعًا مختلطًا: بعضها مستمدٌّ من بحوث محترمة تُطلَق فيها تعميمات ذات جدارة في شأن ضروبٍ من الاطراد مسجَّلةٍ على نحوٍ موثوق؛ وبعضها مستمدٌّ من مذكرات بعيدة عن الرسمية كتبها أناسٌ نابضون بالحياة؛ وبينهما ثمة الكثير. وعلاوةً على ذلك، أفدتُ مرارًا من دراسة قمتُ بها لجماعة مزارعي الكفاف في جزيرة شتلاند[1][2]*. ومبرِّر هذه المقاربة (الذي أعتبره مبررًا لمقاربة جورج زيمل 'Georg Simmel'[3]** أيضًا) هو أنَّ الأمثلة الإيضاحية تتنزَّل معًا في إطار متماسك يربط أجزاء من تجربة سبق أن خاضها القارئ ويزوِّد الدارس بدليل جدير بالاختبار لدى دراسته حالات من الحياة الاجتماعية المؤسسية.

يُقَدَّمُ الإطار المذكور على مراحل منطقية. أمَّا المدخل فهو مجرد بالضرورة ويمكن تخطّيه.

---

(1) ثمة تقرير جزئي عن هذه الدراسة في:

E. Goffman, «Communication Conduct in an Island Community" (unpublished Ph.D. dissertation, Department of Sociology, University of Chicago, 1953).

سوف أدعو هذه الجماعة من الآن فصاعدًا «جزيرة شتلاند».

(2)* جزيرة شتلاند أو جزر شتلاند (Shetland Islands) أرخبيل اسكتلندي قريب من النرويج، كانت المُزارَعة بالاستئجار (Crofting) الدعامة الأساسية لاقتصاده لفترة طويلة وتقوم على إنتاج المحاصيل بمقادير قليلة من أراضٍ صغيرة المساحة وعلى العمل الجماعي التعاوني. (م)

(3)** يُعدَّ جورج زيمل من أهم علماء الاجتماع والمفكرين الألمان إلى جانب ماكس فيبر، ونوربرت إلياس، وكارل ماركس، وغيرهم. عُرف بعلم الاجتماع التفاعلي من جهة، وعلم اجتماع الأشكال من جهة أخرى. واهتم بمواضيع اجتماعية مثيرة ولافتة، مثل النقود والموضة والمرأة والطائفة والمظاهر والفن، والمدينة والغريب والفقراء والفرد والمجتمع والتفاعل والرابط الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية. ويُعدُّ كتابه **فلسفة النقود** (1900) من أهم الكتب في تاريخ علم الاجتماع الحديث والمعاصر. (م)

مدخل

حين يدخل فردٌ حضرةَ آخرين، يسعى هؤلاء في العادة إلى الحصول على معلومات عنه أو إلى تفعيل معلومات يمتلكونها أصلًا. ويُبدون اهتمامًا بمكانته الاجتماعية الاقتصادية العامة، وتصوّره عن نفسه، وموقفه حيالهم، وكفاءته، وجدارته بالثقة، وما إلى ذلك. وعلى الرغم من أنَّ بعض هذه المعلومات تكاد تُلتَمَس كغاية في حدِّ ذاتها، فإنَّ أسبابًا عملية تمامًا تقف في العادة وراء تحصيلها. ذلك أنَّ المعلومات عن الفرد تساعد الآخرين في تعريف الوضع[1]* الذي يجدون أنفسهم فيه، وتمكِّنهم من أن يَعْرِفُوا مقدَّمًا ما يتوقعه منهم وما يمكن أن يتوقعونه منه. وحين يحظى الآخرون بهذه المعلومات، فإنَّهم يعرفون كيف يتصرفون على أفضل وجه ليستثيروا لدى هذا الفرد استجابةً مرغوبة.

تُتاح لهؤلاء الحاضرين مصادر معلومات كثيرة ويتوفَّر لهم كثير من «حوامل العلامات»[2]* لإيصال هذه المعلومات. وحتى لو لم تكن

(1)* تعريف الوضع (The definition of the situation) هو ما يفعله البشر ليعلموا ما المتوقَّع منهم وما المتوقَّع من الآخرين في وضع معيَّن. وهذا ما يعطيهم فكرة عن مكانة المنخرطين في ذلك الوضع ودورهم ويمكّنهم من معرفة كيف سيكون سلوكهم. أي أنّه فهمٌ لما سيحدث في وضع معين، ومن سيلعب أيّ أدوار في التفاعل. ويشير هذا المفهوم إلى الكيفية التي يملي بها فهمنا للسياق الاجتماعي والمكان الذي نوجد فيه -سينما، مصرف، مكتبة، إلخ- توقعاتنا لما سنفعله، ومن الذين سنتفاعل معهم، ولأيّ غرض. وتعريف الوضع هو شيء نتعلمه من خلال التنشئة الاجتماعية، بما فيها من تجارب ومعرفة بالمعايير والعادات والقناعات ومن توقعات اجتماعية، كما تمليه الحاجات الفردية والجمعية. وهو مفهوم أساس في نظرية التفاعل الرمزي وفي علم الاجتماع عمومًا. (م)

(2)* تُخلَق الانطباعات عبر ما يدعوه غوفمان حوامل العلامات (sign vehicles) التي تضم كلاً من لغتنا ولغة أجسادنا. فنحن نخلق الانطباعات من خلال تعبيراتنا، سواء التي **نعطيها**، عبر الأشياء التي نقولها والوضعيات التي نتخذها قصدًا وتعابيرنا الوجهية (الابتسام، الاندهاش، إلخ) وغير ذلك من اللغة الجسدية التي نبثُّها على نحو مسيطَر عليه، أو التي **نوحي** بها، عبر عناصر تعبيرية ليست لنا عليها تلك السيطرة، كضروب التباين بين ما نقوله وما نفعله، ولغة الجسد التي «تكشفنا» في بعض المواقف. (م)

للمراقِبين معرفة بالفرد، فإنَّ بمقدورهم أن يلتقطوا من تصرفه ومظهره إشارات تتيح لهم أن يطبّقوا عليه خبرتهم السابقة مع أفراد يشبهون بعض الشيء هذا الموجود أمامهم أو تتيح لهم، وهو الأهم، أن يطبّقوا عليه صورًا نمطية لم يسبق اختبارها. كما يمكنهم أن يفترضوا من خبرة سابقة أنَّ أفرادًا من نوع معين فحسب هم من يُحتمل وجودهم في وَسَط اجتماعي معين. ويمكنهم أن يعوّلوا على ما يقوله الفرد عن نفسه أو على أدلة وثائقية يقدمها في شأن من هو وما هو. وإذا ما كانوا يعرفون ذلك الفرد، أو سمعوا به، بفضل خبرة سابقة على التفاعل، يمكنهم الاعتماد على افتراضات في شأن استمرار الخصال النفسية وعموميتها كوسيلة للتنبؤ بسلوكه الحالي والمستقبلي.

غير أنَّ بضع حوادثٍ قد تحدث، في الفترة التي يكون فيها الفرد في حضرة الآخرين مباشرةً، فتزوِّد هؤلاء في الحال بالمعلومات القاطعة التي يحتاجونها كي يديروا نشاطهم بحكمة. ويكمن كثير من الحقائق الحاسمة أبعد من زمان التفاعل ومكانه أو يقبع داخله في خفاء. على سبيل المثال، لا يمكن التأكد من مواقف الفرد ومعتقداته وعواطفه «الحقيقية» أو «الواقعية» إلا بصورة غير مباشرة، من خلال اعترافاته أو من خلال ما يبدو على أنَّه سلوك تعبيري لا إرادي. وبالمثل، فإنَّه حين يقدِّم الفرد منتجًا أو خدمةً للآخرين، غالبًا ما يجدون أنَّه ما من زمان أو مكان متاحين مباشرة خلال التفاعل للتأكُّد مما يقدِّمه. ويضطرون إلى قبول بعض الحوادث كعلامات تقليدية أو طبيعية على شيء غير متاح للحواس مباشرة. وعلى حدِّ تعبير